الذين كانوا ناصبوهُ في حياتهِ فقُبر كما شاء في المقبرة الارمنيَّة. لكنَّ جماعة اعدائهِ عادوا بعد حين وانقلبوا على المرسلين وطلبوا ان تُنقل رفات السيد بيكه من مقبرتهم فنُقلت الى معبدهِ. واذ فتحوا وقتئذٍ تابوتهُ رأوا يمينهُ سالمةً كأن الله اراد ان يبيّن للجميع رضاهُ من تلك اليمين المباركة آلة البرّ والحسنات. وكفى دليلًا عن عظم شأن الاسقف بيكه ما كتبهُ عنهُ الفارس دَرْفيو خلفهُ في قنصليَّة حلب ورفيق سفرهِ من مرسيليه قال: «كان بيكه رجلًا عجيباً في خدمة ربّهِ وخدمة مليكهِ» فكأنهُ يترجم لقول الشاعر العربي

ما أجمل الدين والدنيا اذا اجتمعا

ونسأل الله في الختام ان يقيّض للدولة الفرنسويَّة امثالًا من هؤلاء الابطال الذين بأعمالهم وعرق جبينهم قامت بنايةُ نفوذها في ديارنا الشرقيَّة بارك الله بكر الكنيسة الكاثوليكيَّة وجعلها ركناً لكل عمل خير فانهُ السميع المجيب

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث التاسع

ديانة اهل بيروت (تتمة)

ومع هذه الادلَّة على انتشار الدين المسيحي في بيروت نجد للوثنيَّة آثاراً باقية الى

القرن السادس للمسيح . وقد سبق لحضرة الاب رينه موتر في المشرق(٢٢[١٩٢٤]: ١٩٥—٢٠٠) وصف هيكل وثني كان مقاماً جنوبيّ السراية الجديدة على منعطف التلّ الراقي من باب يعقوب الى كنيسة الارمن الغريغوريين . وكان الهيكل المذكور على اسم «الزُّهَرة السيّدة» اي معبودة الفينيقيين عشتروت . وبقربهِ وُجدت كتابات راقية الى اواخر القرن الثاني او اوائل الثالث . وقد نُشرت صورة ذلك الهيكل مكبَّرةً عن بعض نقود بيروت (ص ١٩٥)

وفي ترجمة ساويرس الانطاكيّ لزخريّا الخطيب افادات عن بقايا بيروت الوثنيّة في عهده اي في اواسط القرن الخامس وذكر هناك شيئاً من عاداتهم ومآتمهم واشتغالهم بالسحر ونفور الناس عنهم لخبثهم وسوء تصرُّفهم (١

وكذلك الكتابات المدفنيّة والتذكاريّة والآثار الفنيّة المكتشفة في بيروت وفي جوارها ولاسيما في جهات بيت مري وعند دير القلعة معظمُها لعبَدة اوثان تتراوح بين القرن الثاني الى السادس للميلاد . ولعلّ المدينة لم تنبذ تماماً العبادة الوثنيّة قبل الزلازل التي كادت تطمس آثارها الى آخر الدهر

على انّ الوثنيّة [illegible] بيروت لم تزل فيها على ما يظهر بعلامات بيّنة من مقدرة الثروى واجتهادهم كما نجدهُ في غيرها من المدن الساحليّة التي كثُر فيها الشهداء وجاءت اخبارهم في صفحات التاريخ لاوسابيوس القيصري وغيره كجبيل وصور وقيسريّة

اما ما يُخبر عن استشهاد القديس برجس فيها فهي رواية لا يمكن القطع بها ويدّعي الكتبة وقوعها في عدّة اماكن كنيقوميدية وُلد (قرب يافا) وغيرها . فضلاً عمّا في قصّة التنين من الغرابة

البحث العاشر

مدرسة الفقه الروماني في بيروت

ومما ألفتَ الى بيروت أنظار العالم الروماني مدرستُها الفقهيّة التي احرزت لها مجدًا

١) اطلب هذا الكتاب وترجمتهُ بالافرنسيّة F. Nau : Vie de Sévère, pp. 49-68

اثيلاً يفوق على مجد رومية والقسطنطينيَّة عينها. قيل ان اغسطوس قيصر بعد انتصاره على مرقس انطوان خصمه في اكسيوم اجتاز في بلاد الشام واعجبهُ موقع بيروت فأنعم عليها بفتح هذه المدرسة الفقهيَّة. وليس لنا على ذلك برهان قاطع. والمرجَّح ان هذه المدرسة أُنشئت في اواخر القرن الثاني للمسيح لمَّا صارت الدولة الرومانية في عُهدة سلالةٍ تُعرف بالسوريَّة وكان اول ملوكها سپتيموس ساويرس (١٩٣—٢١١م)

وما لا شبهة فيهِ انَّ مدرسة بيروت الفقهيَّة كانت عامرةً في اوائل القرن الثالث كما روى الامرُ احد مشاهير المتخرِّجين فيها القديس غريغوريوس العجائبي في اواسط القرن الثالث. وكذلك شهد على وجودها احد الجغرافيين اليونان في تاريخ سنة ٢٣٩ للمسيح فقال: «ان بيروت جامعة لتعاليم كل الشرائع الرومانية (١)»

وقد انشأ الرومان مدارس غيرها في رومية والاسكندريَّة وفي قيصرية فلسطين وفي اثينة ثم (في القرن الرابع) في حاضرة القسطنطينيَّة وانما بيروت امتازت بمدة قصيرة بل برزت وفاقت على تلك المدارس حتى مدرستَي رومية والقسطنطينيَّة

ولعلَّ بعض فقهاء السوريين الذين امتازوا في المئة الثانية والمئة الثالثة للمسيح م الذين استوقفوا انظارَ معاصريهم على بيروت وما ازدانت بهِ من المفاخر. منهم پاپنيان (Papinien) الفقيه الشهير الفينيقي الاصل وأُولپيان (Ulpien) الصوري وپوليوس پولس (J. Paulus) الحمصيّ. فهؤلاء قد بلغوا ذروة المجد بعظم فضلهم وسعة مداركهم تشهد لهم بقايا عديدة من مآثرهم صبرت على آفات الدهر. وكان ديوقليسيانوس الملك اعفى دارسي الفقه في بيروت من الضرائب العموميَّة تنشيطاً لهم فراجت فيها سوق الآداب ايَّ رواج

وممَّن اطنبوا في وصف مدرسة بيروت الفقهية وأثنوا عليها جميلاً كاتبٌ لاتيني وضع في اواسط القرن الرابع تأليفاً وصف فيهِ خواصّ البلدان عنوانهُ صورة العالم كلِّه (Expositio totius mundi) فلما اراد تعريف بيروت (قال: «انها المدينة الوافية الكمال مَوْقعاً وحضارةً» ومن جهة الاداب العلميَّة ذكر «انَّ فيها مدارس لدرس الحقوق حسب الدستور الروماني واليها يتوارد الطلبة افواجاً من كل صقع ومنها

(١) الطلب Geogr. Minores. II, 517, : « Berytus... auditoria legum habens, per quam omnia Romanorum judicia stare videntur.»

يخرج المحامون القانونيّون لمحاكم العالم كله» . وقد دعاها الملك يوستنيان في دستوره القانوني: «امّ العلوم وظلّ الشرائع» . وقال يوحنا اناطوليوس: «انها كرسيّ الآداب والنعم» . ولقّبها القديس غريغوريوس العجائبي «بالمدرسة الرومانية المحضة ومركز شرائع رومية الثابت» . وقال الشاعر نونس: «انها موطن الحقوق ومدينة الفقهاء ومُرضعة الحياة باللبن والتؤدة»

وقد ابقى لنا التاريخ اسماء بعض معلّميها وهم كيرلّس وديوستان ودُمنينوس واودكسيوس ولاونطيوس . ثم اشتهر منهم اناطوليوس ودوروتاوس . وألّف كيرلّس كتاباً مدرسيًّا يُعرف بالتحديدات الفقهية وهو من التآليف المُمتعة

ولما جلس الملك يوستنيان على منصّة الملك في القسطنطينيّة اراد تهذيب الشرائع الرومانيّة وتنظيمها وحَضر ابوابها فانتدب نخبة فقهاء ذلك العصر ليقوموا بهذا العمل الجليل واستدعى من جملتهم ثلثة اساتذة من مدرسة بيروت فساعدوهُ في عملهِ مساعدةً هامّة وهم اودكسيوس واناطوليوس ودوروتاوس فأنجزوا في سنين قليلة تلك المهمّة المعتبرة كطُرْفة ذلك العهد وأبرزوا الدستور اليوستنياني في كل اقسامهِ وفروعهِ فأخرجوهُ في كتب معلومة عوّلوا عليها في درس الفقه مذ ذاك الحين . واحدُ اقسام ذلك الدستور المعروف بالمنظّم (Digesta) قام بهِ اودكسيوس البيروتي وحدهُ . فمُدَّ عمل يوستنيان احدى نِعَم دولتهِ واضحى كاساس الدروس الفقهية في كل الدول التي جاءت بعدهُ وكركن الشرائع المستحدَثة . وفضلُ بيروت ظاهر في هذا المشروع العظيم

ثم رأى يوستنيان ان يصلح المكاتب الفقهية فألغى منها مدارس قيصريّة واثينة والاسكندرية ولم يُبقِ منها الّا ثلثاً وهي رومية والقسطنطينيّة وبيروت . وكان الملك يختار لها معلّميها ويُجري عليهم الجرايات . وكان لبيروت خمسة اساتذة على عدد السنين الخمس اللازمة لإحراز الدروس الفقهيّة . لكلّ سنةٍ استاذ . فيخرج التلامذة بعد ان ينالوا الشهادة من اساتذتهم مستعدّين لكلّ الامور الشرعيّة متقنين لحقائقها ودقائقها اتمّ الاتقان

وان سأل السائل كيف كانت معيشة الطلبة المتقاطرين الى بيروت من انحاء الدولة أجبنا انّهم كانوا أحرارًا يتّفقون في الغالب مع الاهلين فيسكنون في بيوتهم

ويبيتون عندهم ليلاً ثم يتردَّدون الى المدارس في ساعات التعليم. ولا يخفى ان تزاحم الشبان المطلَقي الحريَّة في حركاتهم وسكناتهم كثيرًا ما يقودهم الى ردغات المآثم حتى ولو كانوا من اهل الصلاح فما ظنُّك بهم ان كانوا مائلين الى الاهواء الباطلة يسعون في إغوائهم رفقتهم الى حمأة الفساد ولاسيما في عهد الوثنيَّة؟ فانَّ الكتبة المعاصرين كاوسابيوس القيصري وغريغوريوس العجائبي يدعون بيروت «عصيدة النفوس البارَّة» لكثرة ما فيها من دواعي الفجور فان هواءها الطيِّب وحدائقها وحمَّاماتها ومقاصفها وملاعبها كانت مَدْعاةً الى اللهو وارتكاب المحرَّمات. وقد شبَّهها غريغوريوس العجائبي بساحرةٍ تفتن عقول الاحداث وتهوي بهم الى قعر الفساد

ومما كان يزيد مدينة بيروت عثرةً لذوي الصلاح ما أُقيم فيها من هياكل الاصنام التي تعظِّم الشهوات البشرية وتؤلِّه المنكرات. فكان الوثنيون يجاهرون بعبادة عشتروت إلهة الزنى وباخوس إله الخمر والقصف وكان يخدمُ هياكلهما سَدَنةٌ يتاجرون بالعهارة حتى ان الشاعر اليوناني نونس نعَتَ بيروت في اواخر القرن الرابع ببلاط عشتروت وبتمام اللذَّات البهيميَّة وهيكل المرح والبطر

ثم افاض في وصف حدائق بيروت وغاباتها الصنوبريَّة وما يُشرف عليها من الرُّبى الزاهية والمشارف المزدانة بالآثار والابنية الفخيمة منها هيكل جوبيتر البعلبكي في بيت مري الذي كان يتوارد اليه الزوَّار من انحاء فينيقية. وكانت كل هذه الاماكن مجلبةً للتنعُّم ورفاهية العيش والخلاعة تجذب اليها قلوب الشبيبة جذب المغناطيس للحديد.

ولما تغلَّبت النصرانيَّة على المدينة بعد قسطنطين الكبير وثاودوسيوس لم تزل العثرات العديدة في سبيل الشبَّان ولم ينجُ منها الَّا القليلون كأمفيان الشهيد الذي كان قدوة أترابه ومثالهم الحيّ. ولنا على معيشة الدارسين في بيروت شاهدٌ عياني كان في القرن الخامس وهو زكريَّا الاستاذ الذي كتب بالسريانيَّة سيرة ساويرس الانطاكي ووصف سلوكهُ في بيروت اذ كان يدرس فيها الحقوق (سنة ٤٨٧–٤٨٨) وقابل بين رزانته وتزَّق رفقته الشبان كما رُوي ذلك في مجلة المشرق في سنتها السادسة عشرة (ص ٩٣٠–٩٣١). وهناك لمحة عن تنظيم المدارس ودرجاتها وترتيب صفوفها ومعلميها وخُصَّ منهم بالذكر لاونطيوس بن افدوكسيوس وغير ذلك من التفاصيل

التي تمثل لنا بكل دقة حياة المستفقهين في اواخر القرن الخامس للمسيح

ومما افادنا كتبة ذلك العهد ان مدارس بيروت ما كانت مقتصرة على علم الفقه بل كان الاحداث يعكفون ايضاً فيها على العلوم الادبية بفروعها كاللغة والادب والفلسفة. الّا انّ شهرتها في الفقه كان يُضرَب بها المثل في العالم الروماني باجمعه. وبقيت مدارس بيروت زاهيةً عامرةً الى اواسط القرن السادس حيث نُكبت بالزلازل وكوارث الدهر كما سترى

(لها بقيّة)

الاداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿ابرهيم بك المُوَيلحي﴾ في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين وقعت ايضاً وفاة احد اعيان المصريين الذين احرزوا لهم ذكرًا في عالم الادب نعني به ابرهيم المويلحي المولود في مصر سنة ١٢٦٢ه (١٨٤٦ م) والمتوفى سنة ١٣٢٢ه (٢٩ كـ٢ ١٩٠٦ م) تقلّب في عدّة اعمال وغلب عليه الادب والسياسة فخدم وطنهُ مصر في ايّام الخديو اسماعيل باشا ورافقهُ بعد استقالته الى اوربّة فكان امين اسراره وسكن مدّةً باريس ونابولي معهُ ثمّ تردّد مرارًا الى الاستانة فحظي بالنعم السلطانيّة والرتب عند عبد الحميد. وانشأ عدّة جرائد مثل الخلافة في نابولي والرجاء في باريس ونزهة الافكار ومصباح الشرق في القاهرة ولهُ عدّة مقالات في الصحف العربيّة غيرها. وكان لم يستقرّ على خطّة مع كونهِ شديد الذكاء بليغ الانشاء كثير التفنّن مُرّ الانتقاد وهو منشئ جمعيّة المعارف لنشر الكتب المفيدة. ومن آثارهِ كتابهُ الشهير «ما هنالك» وصف فيهِ اسرار يلدز وسياسة السلطان عبد الحميد ولهُ شعر قليل وانشاؤهُ اقرب